منوعات

MEDIA

أخبار

طردت المملكة العربية السعودية، مساء الثلاثاء، ستة صحافيين إيرانيين كانوا ضمن الفريق الإعلامي المرافق لبعثة الحج الإيرانية، من دون إبداء الأسباب وراء ذلك، علماً أن الشرطة السعودية اعتقلتهم في 21 مايو/ أيار، وفقاً لمواقع إخبارية إيرانية.

اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي الصحافي الفلسطيني بلال الطويل، فجر الأربعاء، من منزله في مدينة الخليل، جنوبي الضفة الغربية، لينضم إلى عشرات الصحافيين الفلسطينيين الذين اعتقلوا بعد بدء العدوان على غزة في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول.

رفعت فرنسا الحظر الذي فرضته على تطبيق تيك توك الصيني في إقليم كاليدونيا الجديدة التابع لها، بحسب ما ذكرته سلطتها الإقليمية، الأربعاء، في إطار سعيها إلى استعادة الهدوء في الجزيرة الواقعة في المحيط الهادئ التي تشهد أعمال شغب.

أُطلق القمر الاصطناعي «إيرث كير» EarthCARE، التابع لوكالة الفضاء الأوروبية من ولاية كاليفورنيا الأميركية، الثلاثاء، لاستكشاف تأثير السحب على المناخ. السحب من العناصر الرئيسية المساهِمة في طريقة تغير المناخ، ومن أقلها فهماً.

أرشيف السينما الفلسطينية المسروق من بيروت عندما اجتاحتها إسرائيل في 1982 محفوظ الآن في فرنسا. يسلط تقرير تنشره «العربي الجديد» بالتزامن مع «أوريان 21»، الضوء على هذا الأرشيف وجهود المخرجة خديجة حباشنة في حفظه

أرشيف الأفلام الفلسطينية يُحفظ جنوبي فرنسا

إيمانويل رينودي

منذ سنة تقريباً، تحتفظ المكتبة السينمائية في مدينة تولوز، جنوب غربي فرنسا، بنسخ رقمية من أعمال سينمائية فلسطينية صوّر جلها في سبعينيات القرن العشرين من قبل مُخرجين مناضلين. تعتبر هذه الأفلام كنوزاً من التراث الثقافي والسياسي الممهِّد للعودة إلى فلسطين، وقد جمعتها المخرجة السينمائية خديجة حباشنة. طفلان يلعبان الكجة في غبار مخيم للاجئين، ومقاتل يشق طريقه في أحد الأزقة وبيده رشاش، وامرأة مشغولة في المطبخ، وخطوات بطيئة لرجل عجوز يتفقد حقل أشجار الزيتون، ونظرات تحد يرسلها شاب يرمق جنوداً من الجيش الإسرائيلي، ومثقف يحلل آخر المفاوضات الدبلوماسية...

صور بالأبيض والأسود، أغلبها طاوله التلف. شريط بصوت مشوش أو غير واضح في بعض الأحيان. لكنها صور ذات أهمية كبرى؛ هي أرشيف سينمائي يحكي قصة فلسطين خلال نهاية الستينيات وبداية الثمانينيات. جزء من هذا الأرشيف لم ينشر من قبل، وبعضه غير معروف بما يكفي، وكثير منه في مأمن داخل المكتبة السينمائية في تولوز منذ دخول الموسم الدراسي لسنة 2023.

من البندقية إلى الكاميرا

تمت رقمنة ما مجموعه 34 فيلماً، وما رُمّم، بما في ذلك الأفلام القصيرة والمتوسطة والطويلة، هي أفلام وثائقية حصراً صوّرها مخرجون فلسطينيون. في مارس/ آذار 2024، تمكّن الجمهور من اكتشاف جزء من هذه الثروة خلال أمسيتين، وتحديداً في الثامن والتاسع من مارس، تحت عنوان «أرشيف في المنفى»، كجزء من الدورة العاشرة لمهرجان سيني . فلسطين في تولوز. في الأمسيتين، وأمام جمهور غفير في كل مرة، وقفت المخرجة الفلسطينية خديجة حباشنة، صاحبة الفضل في إخراج هذه الأفلام إلى النور بعدما أمضت السنوات العشرين الماضية في بحث وعمل متواصلين لتجميعها وحفظها.

تبدأ القصة في صيف 1982 حين غادرت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والفدائيون الفلسطينيون المحاصرون من قبل الجيش الإسرائيلي بيروت على متن سفينة تحت حماية قوة متعددة الجنسيات. وقد تركوا كنزاً صغيراً في العاصمة اللبنانية: مكتبة أفلام تحتوي على أفلام من إنتاج فلسطينيين وفلسطينيات، أنتجتها أو شاركت في إنتاجها مختلف تشكيلات منظمة التحرير الفلسطينية (خاصة حركة فتح، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)، وأيضاً صانعو أفلام أجانب من أصدقاء الثورة الفلسطينية. تحتوي المكتبة أيضاً على أرشيف كبير من المواد السينمائية غير المكتملة، والتي صوّرها مخرجون فلسطينيون وأجانب منذ سنة 1967. كانت خديجة حباشنة ضمن القافلة التي غادرت لبنان. تتذكر خديجة حباشنة في اتصال مع فريق «أوريان 21» في عمّان: «كان بحوزتنا ما بين 85 و90 فيلماً في المكتبة السينمائية في بيروت، والكثير من اللقطات التي توثق نشاطات حركة المقاومة: مواجهة مع الصهاينة، والحياة اليومية وأوضاع الناس في المخيمات، وتظاهرة، واعتصام، ونشاطات اجتماعية وثقافية، ودورات تدريبية على السلاح، والتدريس في المخيمات، وما إلى ذلك. كل أنشطة الثورة... ولكن كان هناك الكثير من الوثائق المتراكمة، ولم نتمكن من أخذها معنا عندما ركبنا القارب». تم إخراج أول الأفلام عام 1967 على يد مخرجين فلسطينيين، من بينهم مصطفى أبو علي زوج خديجة حباشنة، وهاني جوهرية وسلافة جاد الله. وفي العام التالي في الأردن، كان هؤلاء وراء تأسيس وحدة أفلام فلسطين، وهي هيكل تابع لحركة فتح، والتي أصبحت عام 1970 معهد السينما الفلسطينية تحت إشراف منظمة التحرير الفلسطينية. سواء كانت أفلاماً مكتملة أو حتى مجرد بكرات تصوير خام، فإن معهد السينما الفلسطينية يحتفظ بمواد سينمائية أخرجها وأنتجها مخرجون «عزموا على الالتزام بالخط الفلسطيني المقاوم، ويكون ذلك بالنسبة لهم عبر السينما والتصوير الفوتوغرافي»، كما يوضح هوغو دارومان، الحاصل على الدكتوراه في الدراسات السينمائية والمتخصص في السينما الفلسطينية. كان توثيق النضال من أجل التحرر الوطني ونشره ودعمه مسألة سياسية ملحة بالنسبة لهم. وكانت صورهم وأفلامهم، التي غالباً ما يكون فيها الانتقال من البندقية إلى الكاميرا ملموساً، لتجد مكاناً في «السينما الثالثة» التي سميت على اسم الحركة السينمائية التي ظهرت في أميركا اللاتينية خلال الستينيات. وإلى جانب الأفلام التي أنتجتها تنظيمات مختلفة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، هناك أعمال أخرى عن فلسطين أخرجها أو شارك في إنتاجها مخرجون فيتناميون وسوفييت وكوبيون... جل هذه الأفلام وثائقيات، فـ«في ذلك الوقت، لم يكن بإمكاننا إنتاج أفلام روائية، فهي تتطلب الكثير من المال، ولم يكن من السهل توزيعها في دور السينما. لذلك، قمنا بشكل أساسي بإخراج أفلام وثائقية عرضت في المهرجانات...»، تشرح خديجة حباشنة. أُرسلت نسخ من هذه الأفلام إلى تمثيليات منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج، وإلى رفاق الثورة في العالم العربي وأوروبا، وإلى مجموعات من الأصدقاء السينمائيين. وفي كل مكان في العالم تقريباً، عُرضت الصور في النوادي والمراكز الاجتماعية ضمن حلقات نقاش ولقاءات. وبحسب حباشنة: «في السبعينيات، كانت السينما الفلسطينية أهم السينمات النضالية في العالم».

أرشيف سرقه الجيش الإسرائيلي

رغم خروج منظمة التحرير من بيروت في 1982، بقي أعضاء معهد السينما الفلسطينية في بيروت، وحاولوا الحفاظ على جميع الأفلام والأرشيفات الأصلية للمعهد في مأمن. لكن بعد بضع سنوات، اختفى أثر البكرات التي اختفت خلال الحرب الأهلية اللبنانية التي لم تنتهِ إلا سنة 1990. كشفت الباحثة الإسرائيلية رونا سيلا التي تعمل على «التاريخ المرئي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني» عن هذه الاختفاءات في مقال نشر في 2017 بعنوان «مُصادَر في بيروت، الأرشيف المنهوب لمعهد السينما الفلسطينية وقسم الفن والثقافة». كانت تُحفظ الأفلام في استديو روك في بيروت، ولكنها اختفت بدءاً من سنة 1982، بينما اختفت البكرات الخام، التي انتقلت من أحياء الفخّاني إلى الحمرا في بيروت، عام 1986، أثناء تدهور الوضع في مخيمات اللاجئين في العاصمة اللبنانية. هذا، وكشفت نتائج أبحاث رونا، «المعتمدة على مصادر متنوعة، أن عدة أفلام من معهد السينما الفلسطينية التي كانت في استديو روك صودرت من قبل القوات الإسرائيلية، لتكون بالتالي في يد إدارة الأرشيف العسكري الإسرائيلي»، مُشيرة إلى أنه على العكس من ذلك لم يتم تأكيد «مصادرة» إسرائيلية (أي سرقة) «للأرشيف السينمائي الفلسطيني». بالنسبة لهوغو دارومان، فإن «الفرضية الأكثر احتمالاً، حتى لو لم تُؤكد رسمياً من قبل السلطات الإسرائيلية، هي أن إسرائيل تحتفظ حتى اليوم بهذا الأرشيف». في الواقع، من الصعب التحقق من ذلك، رغم أنه وفقاً لموقع الجريدة المدنية فإن وزارة الدفاع الإسرائيلية تعترف بأن الأرشيف العسكري يحتوي على 158 فيلماً تمت مصادرتها خلال حرب لبنان سنة 1982.

> أمضت المخرجة خديجة حباشنة 20 عاماً في جمع الأفلام وحفظها

اعتباراً من سنة 2004، قررت خديجة حباشنة الشروع في البحث عن هذه الأفلام المفقودة. أراد زوجها مصطفى أبو علي، الذي كان يعيش في رام الله، وهو مخرج الفيلم الكلاسيكي «ليس لهم وجود» (1974)، في إشارة إلى العبارة التي قالتها غولدا مائير عام 1969، والتي تنفي وجود الشعب الفلسطيني، إعادة إنشاء مكتبة أفلام فلسطينية. وعندما توفي سنة 2009، واصلت حباشنة أعمال البحث والتجميع بنفسها. وعلى مدى أكثر من خمسة عشر عاماً، سافرت في جميع أنحاء أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط، وتبادلت العديد من الرسائل الإلكترونية والمكالمات الهاتفية. وتلخص ذلك بقولها: «اتصلت بأكثر من مائة شخص، من أحزاب سياسية ومسؤولين وتمثيليات سابقة تحولت الى سفارات، ممن يُحتمل أن تكون بحوزتهم نسخ. جمعنا نحو ستين فيلماً، وكان لدينا من بينها 30 فيلماً». في 2012، علمت أن الأرشيف السمعي البصري للحركة العمالية الديمقراطية (AAMOD) استعاد أرشيف الحزب الشيوعي الإيطالي، ومن بينها فيلم عن مجزرة ومعركة ومقاومة مخيم تل الزعتر 1976 في لبنان. في سياق البحث، ظهرت أفلام أخرى من تلك الفترة، محفوظة في برلين وتونس على وجه الخصوص، لكن الكثير من بين الأفلام التي وجدتها حباشنة وجب إنقاذها وحفظها من جديد.

تناغماً مع المدينة الوردية

سنة 2018، دعيت المخرجة لحضور الدورة الرابعة من مهرجان سيني-فلسطين في تولوز والمشاركة في جلسة نقاش حول مسألة الأرشيف. كانت تبحث حينها عن شراكات وأماكن لحفظ كل ما جمعته. وبعد عام واحد، التقى المدير المفوض للمكتبة السينمائية في تولوز فرانك لوريه بالمخرجة في القدس ثم في رام الله. «نحن أمام مشروع مذهل، فقد قضت جزءاً كبيراً من حياتها في البحث عن نسخ من الأفلام، ولا يمكننا تركها وحدها في ذلك...»، كما يصرح لوريه.

المكتبة السينمائية في تولوز افتتحت في 1964، وهي ثاني أكبر مكتبة سينمائية وطنية في فرنسا بعد باريس، وتحتوي على واحدة من أهم مجموعات الأفلام في أوروبا، بنحو 53 ألف نسخة من الأفلام. «وفي تولوز، لدينا أرشيف نضالي كبير تاريخياً»، يضيف فرانك لوريه، الذي يرى أن الأفلام التي جُمعت من قبل خديجة حباشنة «تُثير اهتماماً كبيراً». ويردف: «لكن العمل الذي نقوم به نحن هو في المقام الأول عمل مؤرخي السينما. يجب أن تتم معالجة هذه الأفلام، وتحليلها وعرضها للطلاب والباحثين بقدر الإمكان. شخصياً، أصر دائماً على أن تعرض مع خبراء يعرفون تاريخ الموضوع الأصلي. شارفت هذه الأفلام على الاندثار، ودورنا هو إنقاذها».

ورصدت ميزانية قدرت بنحو خمسين ألف يورو لجمعها وإحضارها إلى مدينة تولوز من عمّان ومن القاهرة (حيث لا تزال هناك سبعة أفلام متضررة للغاية بحيث لا يمكن ترميمها ورقمنتها). وستكون هناك حاجة إلى خمسة عشر ألف يورو إضافية للمرحلة الثانية التي تتضمن توزيع وعرض الأفلام. وبالإضافة إلى المكتبة السينمائية في تولوز، تشارك أيضاً وزارة الثقافة الفلسطينية والقنصلية العامة الفرنسية في القدس ومركز جميل للفنون في دبي بمختلف أطوار المشروع. وبموجب الاتفاقية الموقعة، تتعهد المكتبة السينمائية في الجنوب الغربي بالحفاظ على أرشيف هذه الأفلام إلى أن يتوفر لفلسطين هيكل قادر على استعادتها وحفظها في ظروف جيدة سواء تعلق الأمر بالمسائل اللوجستية أو السياسية.

اكتشفت الصحافية الفرنسية الفلسطينية ومراسلة وكالة الأنباء الإسبانية في قطاع غزة من 1997 إلى 2000 أسماء العطاونة وجود هذه الأفلام في مهرجان سينما فلسطين في مارس/ آذار الماضي. وتمكنت تحديداً من مشاهدة «مشاهد من الاحتلال في غزة»، وهو فيلم وثائقي مدته 13 دقيقة صوّره مصطفى أبو علي سنة 1973، والذي يُظهر عنف الاحتلال وبأس المقاومة الفلسطينية في القطاع الذي نشأت فيه وما زالت تعيش فيه عائلتها. وتقول العطاونة: «خلال طفولتي، كانت الصور الوحيدة التي أشاهدها عن فلسطين هي تلك التي كانت تظهر في الأخبار، لطالما كانت تأتي من منظور خارجي، من الإسرائيليين أو من الصحافيين الأجانب. أما هنا، فالفلسطينيون هم الذين قاموا بالتصوير والتوثيق. هذه صور من زمن آبائي وأجدادي، وهي تؤكد كل القصص التي انتقلت إليّ شفهياً في العائلة. المنفى، والعنف، والدمار... كما لو أنهم كانوا يجسدون ما أخبرتني العائلة عنه. عندما رأيتهم، كان الأمر أشبه بتجميع أحجية».

بالنسبة لأسماء العطاونة، فإن ذاكرة الفلسطينيين «معطوبة بعض الشيء» بسبب خمس وسبعين عاماً من الاحتلال ومن السردية الصهيونية. «ولذلك فإن هذه الصور مهمة للغاية»، تؤكد العطاونة، وتصفها بأنها «أشبه بالمرآة...». تطمح خديجة حباشنة أيضاً إلى تقديم هذه الصور لأكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، وتقول: «في كل الأحوال، فإنه من غير الممكن وضع هذا الأرشيف في فلسطين اليوم، حيث سيكون في خطر. يدمّر الإسرائيليون كل شيء هنا، حتى أن السواد الأعظم من شعبنا لم تتسنّ له قط إمكانية مشاهدة هذه الأفلام، في حين أن التاريخ والإرث الثقافيين هما جزء من هويتنا كبشر. لذا، وحين سيصبح ذلك ممكناً، سينقل هذا الأرشيف إلى المكتبة الوطنية الفلسطينية، وسيكون متاحاً للعموم حتى تكون رؤية هذه الصور والتعرف إلى هذا التاريخ مصدراً للفخر، وهو أمر على قدر كبير من الأهمية».

يُنشر بالتزامن مع «أوريان 21»
https://orientxxi.info/ar

مقاتلون فلسطينيون أثناء خروجهم من بيروت، 22 أغسطس 1982 (دومينيك فاجيه/فرانس برس)

في «سيني ـ فلسطين» كانت البداية

سنة 2018، دعيت المخرجة خديجة حباشنة لحضور الدورة الرابعة من مهرجان سيني-فلسطين في تولوز والمشاركة في جلسة نقاش حول مسألة الأرشيف. كانت تبحث حينها عن شراكات وأماكن لحفظ كل ما جمعته. وبعد عام واحد، التقى المدير المفوض للمكتبة السينمائية في تولوز، فرانك لوريه، بالمخرجة في القدس ثم في رام الله. ورصدت ميزانية قدرت بنحو خمسين ألف يورو لجمعها وإحضارها إلى مدينة تولوز من عمّان ومن القاهرة (حيث لا تزال هناك سبعة أفلام متضررة للغاية بحيث لا يمكن ترميمها ورقمنتها). وستكون هناك حاجة إلى خمسة عشر ألف يورو إضافية للمرحلة الثانية التي تتضمن توزيع وعرض الأفلام. وبالإضافة إلى المكتبة السينمائية في تولوز، تشارك أيضاً وزارة الثقافة الفلسطينية والقنصلية العامة الفرنسية في القدس ومركز جميل للفنون في دبي مختلف أطوار المشروع. وبموجب الاتفاقية الموقعة، تتعهد المكتبة السينمائية في الجنوب الغربي بالحفاظ على أرشيف هذه الأفلام إلى أن يتوفر لفلسطين هيكل قادر على استعادتها وحفظها في ظروف جيدة سواء تعلق الأمر بالمسائل اللوجستية أو السياسية.

المكتبة السينمائية في تولوز افتتحت في 1964، وهي ثاني أكبر مكتبة سينمائية وطنية في فرنسا بعد العاصمة باريس، وتحتوي على واحدة من أهم مجموعات الأفلام في أوروبا، بنحو 53 ألف نسخة من الأفلام. «وفي تولوز، لدينا أرشيف نضالي كبير تاريخياً»، وفقاً للمديرالمفوض للمكتبة السينمائية في تولوز، فرانك لوريه.

عرض

في عرض يمزج بين فنون السيرك والرقص المعاصر والشعبي، تقدّم فرقة مدرسة سيرك فلسطين رؤية استعراضية لقضية اللجوء الفلسطيني منذ النكبة حتى اليوم

«سراب»
النكبة تتكرر في كل يوم

رام الله ـ **بديعة زيدان**

صحيح أن عرض «سراب» لفرقة مدرسة سيرك فلسطين يتناول قضية اللجوء عامة، وتهجير الفلسطينيين قسراً في عام 1948 على يد العصابات الصهيونية، وقتذاك، إلا أنه يحاكي أيضاً النكبة المتواصلة في قطاع غزة، تبعاً لاستمرار حرب الإبادة الإسرائيلية منذ السابع من أكتوبر/ تشرين الأول الماضي. ويمزج العرض (احتضنته قاعة قصر رام الله الثقافي)، ما بين فنون السيرك، من أكروبات وفنون حركية أخرى، كالرقص المعاصر والدبكة الشعبية الفلسطينية والمسرح، متكئاً على لغة الجسد، إلى جانب حوارات قصيرة مقتطعة صيغت بحرفية عالية، إضافة إلى الصوت الذي كان عاملاً مُهمّاً، شكلاً ومضموناً، لجهة تكوين العمل، ولفهم مضامينه والتعبير عنها.

قدّم الفنانون المشاركون، على مدار ساعة من الزمن، عملاً تعبيرياً يُقدّم السيرك بعصريّته التي تتكئ على فنونها وتنفتح على فنون أدائية أخرى، ما عكس تطوّر إنتاجات مدرسة سيرك فلسطيني. فعلى الصعيد الشعوري، مسّ العرض الحاضرين بشكل عبّروا عنه في نقاشاتهم بعد انتهائه. وعلى الصعيد الفنّي، كان متماسكاً كتابةً، وتصميماً، وأداءً حركيّاً، وإخراجاً، وسينوغرافيا. بدأ العرض بمشهد شابة ترقص على أنغام موسيقى شعبية داجية في فلسطين وبلاد الشام، حتى ياتي «الغرباء»، ويبدأون تدريجياً بتضييق المساحة عليها، بينما تصرّ على مواصلة الرقص، إلى أن تدوي صفّارات الإنذار، وتعم أصوات الانفجارات الجغرافيا الافتراضية للعمل، التي تصلح أن تكون فلسطين، في أي زمن؛ سواء في عام 1948 أو 1967 أو الآن، أو بما يتجاوز الجغرافيا الفلسطينية لجغرافيات قريبة أو بعيدة عانت من احتلالات. كانت العبارة التي أطلقتها فنانة أخرى، بينما يحاول أقاربها إنقاذها، بأن «الإشلاء في كل مكان»، كافية للتعبير عمّا حدث قبل عقود في فلسطين، إبان نكبة عام 1948، وما يحدث الآن منذ قرابة الثمانية أشهر في قطاع غزة، بسبب العصابات الصهيونية قبل تقنينها جيشاً، أو بسبب جيش تسيطر عليه العقلية الصهيونية العنصرية المتطرفة.

> يتجاوز العرض الجغرافيا الفلسطينية لجغرافيات عانت من الاحتلال

ليس من السهل على المكتوبين بنار ما يحدث في قطاع غزة، عبر استشهاد أو إصابة أقاربهم هناك، أو عبر ما يتابعونه على الفضائيات، أن يتابعوا العرض، الذي كان أشبه بمحاكاة لتلك المشاهد التي نراها يومياً عبر الشاشات آتية من القطاع، أو ما يحدث في مخيمات الضفة الغربية. وما بين اداء منفرد أو ثنائي أو ثلاثي أو يزيد، قدّمت الفرقة، على واقع موسيقى مُسجّلة، وأخرى حيّة لجوقة الكمنجاتي، ما يعكس حالات المُهجّرين من ديارهم تحت وقع جرائم الإبادة، من رعب وقلق. وظّف الفريق تقنيّات السيرك في العرض بعفوية، ما جعلها جزءاً محورياً تدور في فلكه الأحداث كلها، بما في ذلك تسلق الأعمدة المثبتة بحبال، والذي يتحوّل في تكوين لاحق إلى سفينة تُقل المهاجرين إلى بلاد أكثر أمناً، أو هكذا يخالون عبر البحر، وسط صراع على النجاة، كما كان يحدث مع العديد من شباب غزة قبل الحرب الأخيرة، وعائلات بلدان مجاورة، وخاصة سوريا ولبنان ومصر، مع أن «اللجوء» في زمن تتفاقم فيه الحروب، كزماننا، بات حالة إنسانية، ولم تعد مقتصرة على الفلسطينيين، كما كانت عام 1948، وهو ما ينطبق على تسلق الحبال والأقمشة البيضاء المعلقة كأكفان مُفترضة، فالطريق إلى البرّ ليست أجمل من البرّ نفسه في حالة كهذه، هذا إن حالفهم الحظ ووصلوا إليه. يشير المدير التنفيذي لمدرسة سيرك فلسطين محمد رباح، في حديث إلى «العربي الجديد»، إلى أن العرض أُنتج في عام 2017، و«ما يحزّننا أنه يبدو وكأنه خُرج ممّا يحدث الآن، ليس فقط في فلسطين، بل في العديد من دول العالم»، موضحاً أنه جاء بمبادرة من الفنانين أنفسهم لتقديم عرض يمزج فنون السيرك بفنون أدائية أخرى لأغراض طرح قضية اللجوء ومعاناة اللاجئين.

يقول رباح إن فريق العمل تغيّر، وأُضيف ما هو جديد، خاصة على مستوى الحركة، مع الاتكاء على الفكرة ذاتها والمضمون ذاته. هذا التطوير جاء بناءً على رؤية الفنانات والفنانين الخمسة الجدد، لافتاً إلى أن العرض في قصر رام الله الثقافي لعمل «سراب» هو العرض الأدائي الأول للجمهور، بعد سلسلة عروض في المدارس وداخل خيمة السيرك في مقره ببلدة بيرزيت القريبة من مدينة رام الله. يشير رباح إلى ضرورة تقديم أعمال فنيّة تحاكي الواقع، ليس فقط خارج فلسطين، بل داخلها، مشدّداً على أن الحراك الثقافي لا يقل أهمية عن غيره من الحراكات، خصوصاً في مدن الضفة الغربية، فعلى الشارع الفلسطيني، كل في مجاله، التحرك، لإيصال «رسالتنا إلى العالم، والتي هي رسالة صمود وتحدٍّ وأمل، ولنقل روايتنا ومعاناتنا أيضاً ليس فقط إلى جمهور دول العالم المقرر تقديم العروض فيه، بل إلى الأجيال الفلسطينية الشابة، إذ من المقرر أن يتجوّل العرض في عدد من المدن، تبعاً للظروف الميدانية والنفسية والمالية، خاصة أن فعل اللجوء من شأنه أن يضرب الفنون والحراك الثقافي في مقتل، وهو ما حدث إبّان النكبة الفلسطينية عام 1948». بدوره، لفت رئيس بلدية رام الله عيسى قسيس، في كلمة مُقتضبة له ألقاها قبيل انطلاق العرض، إلى أن عرض «سراب» لفرقة مدرسة سيرك فلسطين، بالشراكة مع «الكمنجاتي»، يكتسب أهميته ليس فقط في إعادة سردية النكبة وتقديمها وفق «رؤيتنا الفلسطينية في مواجهة رؤية المحتل فحسب، وبطريقة مبتكرة تنكئ على الجسد كأداة للتعبير، بل بتأكيدها من خلال العرض في المدن الفلسطينية المنكوبة على كون عودتنا حتمية، ولجوئنا مؤقت»، مشيراً إلى أنه رُصد ريع تذاكر دخول العرض لصالح حملة إغاثة غزة التي تقوم عليها بلديّات رام الله والبيرة وببتونيا لصالح الهلال الأحمر الفلسطيني.

يعكس «سراب» حالات المُهجّرين من ديارهم تحت وقع جرائم الإبادة (العربي الجديد)

حكاية تلو الأخرى

يُقام مدينة رام الله أيضا معرض «قصص من وعن غزة». وهذا ليس معرضا تشكيليا، بل مساحة استماع. أمام كل صورة في المعرض، يقف المتفرّج ليستمع الى حكاية خاصة. حكاية تلو الاخرى، هي تسجيلات بودكاست، نفذها وسجّلها شباب من اجيال مختلفة، من غزّة وباقي المدن والقرى الفلسطينية، عبر راديو «أثير» الثقافي، بهدف تسجيل قصص من القطاع، في ظل تواصل حرب الابادة الاسرائيلية منذ اكثر من 8 شهور.

زيارة

لشبونة بالأزرق والبنفسجي

ما إن يحلّ فصل الربيع، حتى تكتسي شوارع لشبونة بلونَي زهرة الجاكاراندا الأزرق والبنفسجي، حتى أصبح المشهد الذي ترسمه هذه الشجرة التي دخلت البرتغال في القرن التاسع عشر، صورة ملازمة لاسم عاصمتها وبمثابة بطاقة بريدية معبّرة عنها.

تنتشر الجاكاراندا (Jacaranda) في كل أنحاء البرتغال، لكن هذه الأشجار المستوردة من البرازيل، إحدى المستعمرات البرتغالية السابقة، تكيفت مع المناخ المحلي بشكل أفضل في العاصمة البرتغالية، على ما أوضحت انا لويزا سواريس، مديرة حديقة أجودا النباتية، التي تُرعت فيها أولى هذه الأشجار. أدخلت أشجار الجاكاراندا إلى البرتغال في مطلع القرن التاسع عشر، عندما لجأت العائلة المالكة إلى البرازيل هرباً من الغزوات الفرنسية. وخلال غياب الملك، أدى ربط لون هذه الشجرة الأزرق بالنظام الملكي، إلى جَعْلِها وسيلة «لإظهار السلطة الملكية»، وفق ما شرحت هيئة السياحة في لشبونة عبر موقعها الإلكتروني. وأوضحت سواريس أن الجاكاراندا انتشرت بفضل فيليكس أفيلار بوتيرو الذي يُعدّ أبا علم النبات في البرتغال، الذي «بدأ بعد ذلك بتقديم بذور هذه الشجرة» في كل أنحاء المدينة. وتترأس مهندسة المناظر الطبيعية هذه حديقة نباتية تاسست في القرن الثامن عشر، وتضمّ عدداً كبيراً من الأنواع المتأتية من المستعمرات البرتغالية السابقة في أفريقيا وأميركا الجنوبية، إلى جانب قارّة آسيا. ومنذ إدخالها أشجار الجاكاراندا إلى البرتغال، راح عددها ينمو باستمرار في العاصمة. وقالت المسؤولة في إدارة البيئة في بلدية المدينة انا جوليا فرانسيسكو: «إنها شجرة قليلة المشاكل. فعمرها طويل، وتزهر دائماً تقريباً، وهي من الأنواع التي تتكيف جيداً جداً».

وتُواصل البلدية، إلى يومنا هذا، زراعة أشجار الجاكاراندا، متجنبة الأماكن المعرّضة للرياح، إذ تواجه صعوبة أكبر في النمو حين تتعرّض لعواصف أو رياح قوية. تنتشر أشجار الجاكاراندا في الأحياء الأكثر استقطاباً للسياح، كما في ساحة روسيو المرصوفة بالحجارة البيضاء والسوداء في لشبونة القديمة، أو في الشوارع المؤدية إلى دوّار ماركيز بومبال، وهو أهم الساحات الكبرى للعاصمة البرتغالية. ويساهم السياح في زيادة شعبية الجاكارانذا؛ إذ إنهم، في عصر تطبيق إنستغرام ومواقع التواصل الاجتماعي، يهوون التقاط صور لأنفسهم أمام تلك الأشجار المزهرة، وأرصفة العاصمة المفروشة بالبتلات الأرجوانية عندما يبدأ تساقطها. ومن هؤلاء المتقاعدة البالغة 76 عاماً، شيريل ميتشل، من أتلانتا الأميركية، وقد وصفت المشهد وهي تلتقط الصور بأنه «رائع!». أما الشابة الفرنسية ماغالي سيريّو (34 عاماً)، التي تمضي إجازة في لشبونة؛ فلاحظت أنه «منظر ربيعي جداً. إنه ساحر. اعتقد انه يمثل بعبَر جيداً عن مدينة لشبونة».

لكنّ الجاكاراندا التي تحظى بإعجاب سكان مدينة لشبونة أيضاً، لم تنجُ من بعض الانتقادات بسبب الإزعاج الذي تسببه الزهور المتساقطة على الأرض، إذ تتحلل وتتحول مادة لزجة على الأرصفة، وبالتالي، باتت البلدية، عند زراعة أشجار جديدة، تحاول قدر الإمكان تجنب الأماكن التي قد تسبب إزعاجاً للسكان المحليين. لكنّ المسؤولة في البلدية أنا جوليا فرانسيسكو، ترى أن جمال هذه الأشجار «يستحق تحمّل بعض الإزعاج!».

> عرفت البرتغال أشجار الجاكاراندا في القرن التاسع عشر

(فرانس برس)

أُنواع البلدية زراعة هذه الأشجار متجنبة الاماكن المعرّضة للرياح (بابتريشيا دي ميلو موريرا/ فرانس برس)

تكنولوجيا

الذكاء الاصطناعي... صوتٌ مُفرط في بشريّته

باريس ـ **عمّار فراس**

لم تتردد الممثلة الأميركية، سكارليت جوهانسن، في اتهام شركة OpenAI بـ«سرقة» صوتها واستخدامه في النسخة الجديدة من تطبيق ChatGPT، أو ما يمكن وصفه بـ«معالج النصوص» أو «نظام المحادثة». هذه ليست المرة الأولى التي يخلق فيها الذكاء الاصطناعي مشكلة بين الممثلين الذين وجدوا صورهم وأصواتهم مهددة، الأمر الذي حرّك الإضرابات في هوليوود العام الماضي، وقد تربّعت على رأس مطالبها، حماية حقوق الممثلين من استغلال تقنيات الذكاء الاصطناعي لهم. الإشكالية ليست بصاحب الصوت المُقتبَس أو المُقلّد، ولا في حقوق الملكية، خصوصاً أن صحيفة واشنطن بوست حصلت على وثائق تثبت أن شركة OpenAI عينت ممثلة لتعير صوتها لتطبيق الذكاء الاصطناعي، ولم يُستعن بصوت جوهانسن، التي سبق أن لعبت دور تطبيق ذكاء اصطناعي في فيلم Her عام 2013. الإشكالية تكمن في الرغبة في إضفاء نزعة من الأنسنة المفرطة على أنظمة الذكاء الاصطناعي والمساعدين الصوتيين، وإعطائها أصواتاً، حسبما جاء في إعلان الشركة «دافئة وفاتنة وكريزماتيكية». لكن لم كل هذه البشرية المفرطة حد الغوغاية؟

هذه الصفات الثلاث تفسّر استخدام صوت ممثلة يشبه صوت جوهانسن المعروفة بأنها «رمز للغواية». هنا، نتساءل: لِمَ التركيز على البشرية المفرطة في الصوت، وليس على الأصوات الآلية، تلك التي تحافظ على مسافة بيننا وبين الذكاء الاصطناعي، والتشديد على أنه آلة لخدمتنا، وليس موضوع حبّ مستقبلي. محاولة القضاء على هذه المسافة بين الآلي والبشري، ربما هي محاولة لمحاكاة أفلام الخيال العلمي، كما في Her، لكن إن كان الصوت الآلي يبشر بمستقبل ديستوبي وحرب مع الآلات، فإنّ الصوت المفرط في بشريته أشد خطراً في مخيلتنا، إذ إن القدرة على مطابقة واحدة من أبرز الخصائص الإنسانية (الصوت) بصورة تصل إلى حد الغواية، تعني محاولة لجعل هذه التطبيقات تتجاوز دورها كأدوات، نحو الألفة؛ تلك الخاصية التي حولت الهواتف سابقاً إلى أجزاء من أجسادنا، فهل نحتاج صوتاً «فاتناً رافناً» يحيط بنا ويدلّنا على ما يجب أن نشتريه ونستهلكه، بينما يحصد معلوماتنا؟

الواضح أن هناك رهاناً على الـUncanny، الكلمة ذات الترجمة الغامضة، التي يمكن وصفها بـ«الغرابة المألوفة». المصطلح القادم من التحليل النفسي لوصف التشابه مع البشري بصورة تثير القلق وشعور بعدم الراحة، ذاك الذي يتحرك مثلاً عند مشاهدة الروبوتات فائقة الواقعية، أو المنحوتات فائقة الواقعية، التي تثير فينا تساؤلات عن أنفسنا، وقدرتنا على إدراك ما حولنا، وربما هذا ما يحرك سعي شركات الذكاء الاصطناعي لـ«مطابقة» البشري، الرهان على قدرتنا على الإدراك، ومحاولة حرفه أو إمالته نحو قبول ذاك «الآخر الاصطناعي» الذي يتشابه معنا حتى الفزع. لكن، ما هو صوت آلية؟ هذا سؤال ينتمي إلى الخيال العلمي، ونراه في «أوديسا الفضاء 2001» وفي «ماتركس» و«هي»... كلها أفلام تحوي ذكاءً اصطناعياً يتكلم مثلنا، أي بصوت بشري. هذه النزعة المفرطة للأنسنة نراها أيضاً في أبحاث ما بعد الإنسانية، ومحاولة «الإصغاء إلى صوت الآلة»، ذاك الذي ربما تعني «أنسنته» أن نتخلى عن حذرنا. وهذه بالضبط الإشكالية، ترسيخ الألفة يعني أننا، في لحظة ما، قد نصدّق ما يقال من دون التمحيص فيه، وهذا محتمل لكوننا نصدّق ولو لساعات ما نراه في فيلم ونتفاعل معه. نعلّق الشك أمام الوهم، فهل تعليق الشك هو الهدف من استخدام صوت «دافئ فاتن»؟

نقرأ في مقال «واشنطن بوست» أن مديرة نماذج سلوك الذكاء الاصطناعي في OpenAI، جوان جانغ، استعانت بمخرج سينمائي لتطوير «شخصية» الذكاء الاصطناعي. وطرحت مثالاً، هو سؤال يمكن أن يطرحه المستخدم على الذكاء الاصطناعي: «هل تريدين أن تكوني حبيبتي؟». بغضّ النظر عن الإجابة، فإنّ طرح هذا السؤال نفسه، ثم صفات «جذاب، ودافئ، وكاريزماتيكي»، يعني أن هناك رهاناً على غرائز المستخدمين، ليس خدمتهم وتقديم ما يحتاجون إليه من معلومات، خصوصاً أن الجواب المقترح هو «حين يتعلق الأمر بالقلب، اعتبرني مشجعة، لا مشاركة». لكن، ما هذه الإجابة؟ مشجعة ماذا؟ ومشاركة بماذا؟

> تتجاوز التطبيقات دورها كأدوات نحو الالفة مع الإنسان

ما هو صوت الآلة؟ (فرانس برس)

رحيل

محمد ماضي وصفحةٌ أُخرى تُطوى

برحيل الشاعر الغنائي اللبناني محمد ماضي، تُطوى صفحة من ذاكرة جيل الثمانينيات، سواء لفنانين عُرفوا واشتُهروا حينها، او لجمهورهم

بيروت ـ **ربيع فران**

طبعت كلمات الشاعر الغنائي اللبناني محمد ماضي، الذي رحل أول من أمس في بيروت عن 81 عاماً، ذاكرة جيل الثمانينيات. ورغم بساطة قصائده التي كتب كثيراً منها بالعامية المصرية، إلا لبقاء وصعود مجموعة من الأصوات التي عاصرت إنتاج الشاعر الغنائي، ونجحت بتقديم أغان من تأليفه، وسطع نجمها بعد ذلك. تحوّل هذا الإنتاج إلى فصل آخر مما يُعرف اليوم بـ«الزمن الجميل»، خصوصاً أن أصواتاً شابة كثيرة تستعيد تلك الأغاني وتُعيد تقديمها، ضمن مشهد فيه كثير من الحنّين إلى ذلك الزمن.

تعاون مع محمد ماضي فنانون آخرون، ابرزهم فضل شاكر؛ إذ غنّى له «يا حياة الروح» و«مصيرك حبيبي» و«مين قلك» و«مليت أنا أعذار». وكذلك وائل جسّار الذي غنّى له «أراضيك» و«اسمع كلام حبيبك» بسرعة، فغابت بعض الأصوات، أمام موجة الوجوه الجديدة التي استغلت الإعلام المرئي وقتها، وحجزت لنفسها مكانة على الخريطة الغنائية في لبنان والعالم العربي.

اتجه محمد ماضي إلى اللهجة المصرية، وهذا يفسر موهبة الشاعر الغنائي في نقل الكلمات المصرية لتؤدَّى بحناجر لبنانية. أغانٍ يمكن وصفها بالتجارية، لكنها لاقت نجاحاً لأنّها تجاوزت، في جودتها سواء على مستوى الكلمة أو على مستوى اللحن، كثيراً من الأغاني التي كانت دارجة وقتها. هذا مثلاً ما يمكننا أن نلمسه في أغنية «سهران لمين يا شوق» لراغب علامة، خصوصاً أن فيصل المصري وضع لها لحناً جذاباً، يعتمد على الإيقاع السريع، وحُسن التوزيع الموسيقي، ما سهّل انتشارها وحفظها بين المستمعين.

حضر محمد ماضي وعُرف في فترة حساسة؛ إذ كان موجوداً ضمن حقبة الحرب الأهلية، وهي التي شكلت الحجر الأساس لبقاء وصعود مجموعة من الأصوات التي عاصرت إنتاج الشاعر الغنائي، ونجحت لاقت ترحيب الجمهور.

نجحت أغانٍ ماضي في زمن الثمانينيات، خصوصاً أنه اتخذ من الملحن فيصل المصري شريكاً، ليشكّلا ثنائياً قدّم أعمالاً لعدد من المطربين، أبرزهم الراحلة منى مرعشلي (1958 - 2016)؛ إذ أدّت للثنائي «لك شوقة عندنا» و«عجايب»، إلى جانب فنانين آخرين تعاونوا مع الشاعر والملحن، أهمهم أحمد دوغان وماريز البياع وراغب علامة. كان هؤلاء جميعاً نواة لجيل آخر خرج منتصف التسعينيات إلى الضوء ويوظف إرث الأب بما يتماشى مع مزاجية شاب خطف من والده الحرفة، واتجه «متشدداً» جداً لأرائه، ما وضعه في مواقف إشكالية لا تُعَدّ ولا تُحصى مع المغنّين. أبرز الكتابة، لكنّ نجله، أحمد، يتابع المسيرة نفسها بموهبة جديدة. عرف الابن كيف كذلك غنّى من كلماته المطرب الراحل ملحم بركات، والفنانة سميرة توفيق، ونجوى كرم، وعلاء زلزلي وزين العمر ووائل كفوري. في السنوات الأخيرة، اعتزل محمد ماضي الابن خلاف بسبب أغنيتها «أنا وبس»، وكان قد هاجم إليسا هجوماً حاداً على إحدى الفضائيات، متهماً المغنية اللبنانية بأنها «تُحارب الجميع» من شعراء وملحنين وشركات إنتاج، وأنها «تُنشئ الخلافات والمشاكل»، مبدياً انحيازه إلى فنانات آخريات، أبرزهنّ نوال الزغبي.

الشاعر الراحل محمد ماضي ونجله احمد (فيسبوك)